

[١] هناك علم يبحث في الوجود بما هو وجود، ويعرض للخصائص التي تنتهي إلى الموجود من حيث طبيعته ذاتها. وليس هذا العلم واحداً من تلك العلوم التي يقال عنها إنها جزئية، فليس علمًا من العلوم الجزئية ذلك الذي يدرس الوجود بما هو وجود بصفة عامة. إن العلوم الجزئية تقطع جزءاً من الوجود ويدرس أعراض هذا الجزء. فهذا، مثلاً، ما تفعله العلوم الرياضية. وما دمنا نسعى إلى دراسة المبادئ الأولى والعلل القصوى، فمن الواضح أنه لا بد أن يكون هناك شيء تنتهي إليه هذه بطبعتها. وإذا كان أسلافنا الأوائل الذين بحثوا عن عناصر الأشياء الموجودة، كانوا يبحثون عن هذه المبادئ نفسها، فمن ضروري أن تكون العناصر عناصر الوجود لا بالعرض، بل أن تكون هي الوجود. ولذلك ينبغي علينا أن نبحث عن العلل الأولى للوجود بما هو وجود.

[٢] يقال إن الشيء «موجود» بمعانٍ كثيرة، وإن كانت هذه المعانى ترتبط بنقطة مرکزية واحدة. وترتد إلى نوع واحد محدد. لكنها ليست معانى متجانسة، فكل شيء مما هو صحي يرتبط بالصحة، وأحد هذه الأشياء يعني المحافظة على الصحة. لكنه مرادف للصحة. ومنها لدلالته على الصحة، ومنها لقبوله الصحة. والشيء الطبيعى هو ما يرتبط بفن الطب، وسوف نجد كلمات أخرى تُستخدم استخداماً مشابهاً لهذه التعبيرات. وكذلك أيضاً هناك معانٍ كثيرة يقال فيها عن الشيء إنه موجود، لكنها كلها تشير إلى نقطة بداية واحدة. فبعض الأشياء يقال عنها إنها موجودة لأنها جواهر، وبعضها الآخر لأنها تأثيرات للجوهر، ويقال عن بعضها الثالث إنها موجودة، لأنها في سبيلها إلى الجوهر؛ أو إلى مضاف، أو لأنها عدم، أو كيويات للجوهر؛ أو فاعلة أو مولدة للجوهر، أو أشياء أخرى مرتبطة بالجوهر. أو أسلوب لبعض هذه الأشياء، أو للجوهر ذاته. وهذا هو السبب في أننا نقول حتى عن اللاوجود: «إن اللاوجود موجود». وكما أن هناك علمًا واحداً هو الذي يدرس الأشياء الصحيحة، فإن الشيء نفسه ينطبق على الحالات الأخرى كذلك. لأنه ليس فقط في حالة الأشياء التي لها فكرة مشتركة واحدة، إن البحث ينتمي إلى علم واحد، بل أيضاً في حالة الأشياء التي ترتبط بطبعية مشتركة واحدة فحتى هذه الأشياء لها، بمعنى ما، فكرة مشتركة واحدة. ومن الواضح، إذن، أن هناك علمًا واحداً مهمته دراسة جميع الأشياء أو الوجود من حيث هو وجود qua Being كون العلم في كل مكان يعني أساساً بدراسة ما هو أولى، وما تعتمد عليه الأشياء الأخرى، وما بفضلها تكتسب اسماءها. ولو كان ذلك هو الجوهر، فإن على الفيلسوف أن يسعى في طلب مبادئ الجوهر وعللها.